

تعليمية اللغة العربية مسؤولية جماعية أم فردية

أ/سناء عبداللي

قسم الآداب واللغة العربية

كلية الآداب واللغات

جامعة محمد خيضر-بسكرة(الجزائر)

ملخص:

كثيرا ما يعاني طلابنا ضعفا في اللغة العربية تكون ذروته في الطور الجامعي ،ليس لكبره بل لكبر طلابنا على تلك الأخطاء غير المحتملة ،فقد يقبل الخطأ من التلميذ في الطور الابتدائي أو الثانوي و عزاؤنا في ذلك أنه لا يزال في مراحل تعليمية متأخرة ولا يزال الوقت أمامه ليصلح ما فات . لكن في مرحلة التعليم الثانوي ومع قصر فترته التي تمتد على سبيل المثال ثلاث سنوات بالنسبة للطور الثانوي، فإن وباء الضعف يفتك بصاحبه فلا يستطيع خلاصا إلا من رحم ربي ... لذا حاولنا التركيز على عينة من الطور الثانوي(قسم السنة الثانية علوم تجريبية) باعتباره نقطة فاصلة لتعلم اللغة العربية.

فإذا أقررنا بضعف تلاميذ الطور الثانوي في اللغة العربية...

فالتساؤل الذي سنركز عليه سيدور حول المعلم ، فهل يتحمل أستاذ اللغة العربية مسؤولية هذا الضعف بمفرده ؟ أم سيكون النقص عبئا على جميع الأساتذة باختلاف موادهم المدرسة ؟
ومن حصيلة ما وجدنا :

-أن ما يطلب من أستاذ المادة يجب أن يتقنه الجميع ،فمع بعد شارعنا وبيتنا عن اللغة العربية يجب أن لا نسمح أيضا بغيابها عن مدارسنا ونحمل أستاذ مادة مسؤولية ضياع لغة . يجب إشراك جميع الأساتذة في عملية اكتساب اللغة كي لا تفسد القرائح باستلذاذ الأسماع للأخطاء.

منذ العصر الجاهلي احتلت اللغة العربية مكانة مرموقة، فهي لغة الشعر الجاهلي، لغة مذهباته ...
و يكفينا أن مولد شاعر في القبيلة الجاهلية هو عرس فقد ولد لهم لسان فصيح، لسان فخر ومدح وهجاء
ورثاء وغزل وحماسة ... وزادت مكانة هذه اللغة مع مجيء الإسلام فقد كرمها الله وضمن لها البقاء
والحفظ، فأصبحت اللغة العربية "مفتاح فهم الإسلام وعلومه وحضارته التي عرفت تطورا كبيرا وأمست
هي الأداة في التعامل في كل مناحي الحياة الإدارية والعلمية والسياسية" (1)
وبالرغم من هذه المكانة إلا أن العربية ضيعت فأصبح الضعف في اللغة والإسلام على السواء...

فكثيرا ما يعاني طلابنا ضعفا في اللغة العربية تكون ذروته في الطور الجامعي، ليس لكبره بل لكبر
طلابنا على تلك الأخطاء غير المحتملة، فقد يقبل الخطأ من التلميذ في الطور الابتدائي أو المتوسط أو
الثانوي، و عزاؤنا في ذلك أنه لا يزال في مراحل تعليمية متأخرة ولا يزال الوقت أمامه ليصلح مافات .
لكن في مرحلة التعليم الجامعي ومع قصر فترته التي تمتد على سبيل المثال ثلاث سنوات بالنسبة لطلاب
الليسانس، فإن وباء الضعف يفتك بصاحبه فلا يستطيع خلاصا إلا من رحم ربي ...
لذا حاولنا التركيز على عينة من الطور الثانوي، فباعتباره نقطة فاصلة لتعلم اللغة العربية وعند البعض
نقطة نهائية على أساس أن دراساتهم ستودع هذه اللغة إلى الأبد، كفروع الطب والصيدلة
فإذا أقررنا بضعف تلاميذ الطور الثانوي في اللغة العربية...
فالتساؤل الذي سنركز عليه سيدور حول المعلم ، فهل يتحمل أستاذ اللغة العربية مسؤولية هذا الضعف
بمفرده ؟ أم سيكون النقص عبئا على جميع الأساتذة باختلاف موادهم المدرسة؟
" إن التعليم أهم ما في الحياة ، فهو العصب الحساس في أي مجتمع من المجتمعات، وهو الحامل الناقل
لمفاتيح الوعي في الإنسان والأمة " (2)

وكلما ذكر مصطلح التعليم في مجتمعاتنا العربية فإننا قد نغفل عن المتعلم والمحتوى والمؤسسة
والأهداف والأنشطة والوسائل...، ولا نركز إلا على الربط المباشر بين المعلم والنتائج، رغم أن ما يمكن
أن يبحثه المتخصص في التعليمية هو التركيز على :

"متعلمين في علاقة مع

معلم لكي يتعلموا

محتويات داخل إطار

مؤسسة من أجل تحقيق

أهداف عن طريق

أنشطة وبمساعدة

وسائل تمكن من بلوغ

نتائج " (3)

وكلما ذكرت اللغة العربية وجهت أصابع الاتهام نحو أستاذ اللغة العربية دون غيره ، ونحن لا ننفي مسؤوليته كطرف فعال في العملية التعليمية ، لكن نحاول أن نشرك غيره من أساتذة المواد المختلفة المدرسة للغة العربية في هذه الأخيرة ، لا إشراك تهمة بقدر ما هو إشراك مطلب وغاية .
فلا يخفى علينا أن اللغة العربية سلاح الفرد في مواجهة الكثير من المواقف التي تتطلب الكلام أو الاستماع أو الكتابة أو القراءة .

" وإن أشد ما تصاب به اللغة أن يفقد استعمالها في الحياة ، فتتحول على أسنة الدارسين قالب لا تحركها العواطف والمشاعر ... ولكي تؤدي اللغة العربية وظيفتها ينبغي لمدرسيها العناية بتدريس فروعها لتكتمل في إطار وحدة اللغة " (4)

قدر الإمكان قمنا بتجنب جميع النقائص وجعلنا من أستاذ اللغة العربية أستاذا مثاليا يلقي وينتظر الرد والفصل ، المعارضة والحل فهو يعتمد التدريس بالكفاءات باعتباره أحدث طرائق التدريس الموصي بها ..، وركزنا النظر على أساتذة المواد الأخرى بغض النظر عن أساتذة اللغات وأساتذة التربية البدنية .
وطبق هذا على قسم السنة الثانية علوم تجريبية بثانوية حمزاوي محمد العيد ولاية أم البواقي .
فكانت حصيلة ما وجدنا :

أن معظم أساتذة المواد المختلفة لا يعتمدون على اللغة العربية السليمة ولن نبالغ إذا قلنا أنه لا وجود للغة العربية في الأصل في تعليمهم ، إذ أن تعليمهم لم يكن إلا بلغة أقرب ما تكون إلى العامية ، فحقيقة "أصبحت الساحة الثقافية تعيش على وقع من الأمية اللغوية بين الأغلبية الساحقة من الشعب ، بينما الطبقة المتعلمة وعلى قلتها فإنها عاشت نوعا من الثنائية (فرنسية/عربية) لم تحدث حتى في الاستعمار " (5)

مع العلم أن الحجم الساعي المخصص لمادة اللغة العربية هو ثلاث ساعات أسبوعيا ومجمل الوقت المخصص للساعات المذكورة هو عشرون ساعة تقريبا ، وحتى أن الساعات الثلاثة تكون متفرقة على النحو التالي :

الأحد									لغة عربية
الاثنين									لغة عربية
الثلاثاء									
الأربعاء									
الخميس									لغة عربية

فماذا ينتظر من تلميذ لا يسمع من العربية إلا نسبة تقارب ثلاثة عشرة بالمئة - هذا إن وجدت-
"وتعتبر اللغة الشفاهية من أهم مهارات التواصل بين الأفراد، حيث يعبر الفرد من خلالها عن محتواه المعرفي ويستعملها كأداة لتبادل الخبرات والمعلومات والأفكار مع الآخرين" (6)
 إن منطق الأكثرية سيغلب وبالتالي فإن نجاعة التلميذ في اللغة العامية المقدمة داخل القسم وخارجه ستكون أنجع، بل ربما ستفقد العامية هي الأخرى لتحل محلها لغة هجينة بعد أن تم
"اتباع سياسة "الفرنسية" بمعنى إلحاق الجزائريين بالثقافة الفرنسية لتحل محل اللغة العربية" (7)
 فقد ترك المستعمر بصماته على اللغة العربية، التي قسمها للغة كلاسيكية ولغة دارجة وبربرية، ولغة فرنسية .

ومما تم تسجيله حول استعمال مختلف الأساتذة للغة العربية:

-أستاذ الرياضيات: هذين مستقيمان متوازيين.

-أستاذ التاريخ: دخلوا الفرنسيون على العرب.

-ناهيك عن شرح الآيات القرآنية -وهي أفصح ما يكون من اللغة العربية - باللغة الفصحى عند أساتذة العلوم الإسلامية.

واستعمال رهيب للمزيج العربي الفرنسي.

فقد صدق من قال أنه يترتب على الجزائر **"القيام بثورة أخرى تختلف عن الأولى لكنها مكملة لها إنها**

ثورة التعريب" (8)

وأما عن أستاذ اللغة العربية الذي أصبح غريبا في موطنه، ويرى بوضوح تعجب التلاميذ الكبير من لغته العربية فعلى حد قولهم: "قد خرج من فيلم الرسالة....".

فمن قال فيك : لا تلمني في هواها

أنا لا أهوى سواك

لغة القرآن هذي

رفع الله لواها

إن أهم الموضوعات التي يمكن أن تكون الإنشغالات الأساسية للتعليمية وعلى المتخصص في هذا الميدان أن يبحثها تتمثل حسب كلود بيجين في مقاله بعنوان :

" LA DIDACTIQUE ET SES PRINCIPALES PREACCPTION "

"في تحسيس المدرسين بمشاكل التعليم المختلفة وجعلهم بعض أهداف التعليم وبعض وسائل بلوغها ،وتيسير التعليم وتنمية المهارات العقلية والبحث عن الحد الأدنى من التعلم" (9)

وهنا وجب تحسيس جميع أساتذة اللغة العربية وأساتذة المواد الأخرى أن وظيفة تعليم اللغة العربية تسقط على عاتق جميع هؤلاء ،وأن التركيز على أستاذ اللغة العربية أمر لا ينفع ، فكيف لفرد أن يحقق هدف مجتمع بمفرده ؟

فينبغي على كل أستاذ فيهم أن "يحسن التصدي لتعليم اللغة العربية وأن يكون مدركا عناصرها وبنيتها الكلية ،أجل أن يهيء لتلاميذه ممارسة لغوية سليمة تبلغهم المنشود من الكفاية اللغوية والأداء اللغوي المتناغم" (10)

ينبغي التكامل بين المواد ...

فما يطلب من أستاذ المادة يجب أن يتقنه الجميع ،فمع بعد شوارعنا وبيوتنا عن اللغة العربية يجب أن لا نسمح أيضا بغيابها عن مدارسنا ونحمل أستاذ مادة مسؤولية ضياع لغة .

فكما قيل : "وراء كل مجتمع راق مدرسة" (11)، فيجب علينا أن نقول أن من أسباب نجاح لغة أساتذة وليس أستاذ.

والمعادلة ستكون أقرب إذا أردنا أن نمثل لعجز طلبة في لغة أجنبية، وحجة ذلك قلة استعمالها ، فالأمر سواء...

وكما يقول أستاذنا الفاضل الدكتور "عبد الرحمان حاج صالح" : "إن اللغة التقنية التي سيحتاج إليها المتعلم بعد اجتيازه لمهنة معينة ثم الثروة اللغوية الواسعة فهذا سيكون من مكتسباته الشخصية ،يتحصل عليها على مر الأيام من مسيرته الثقافية ،وفي تلقيه لشتى الدروس غير دروس اللغة" (12) لماذا ينشأ طلابنا ضعافا في اللغة العربية ؟ سؤال حير الأذهان وأسأل حبر الأقلام ...

نضيف إلى جميع الإجابات التي حضيت بها مختلف الكتب والدراسات السابقة فنقول أنه :

يجب إشراك جميع الأساتذة في عملية إكتساب اللغة كي لا تفسد القرائح باستلذاذ الأسماع للأخطاء . وتركيظنا على عنصر المعلم ليس لأهميته عن باقي عناصر العملية التعليمية ،فالكمال يطلب من جميعها ،بل لكثرة التهم الملصقة به .

ونخلص إلى القول بأن اللغة العربية مسؤولية جماعية لا فرد ،وعليه فلنخفف من حمل التهم الموجهة لأستاذ اللغة العربية وليتقاسمها كل من يعلم بهذه اللغة ،والأفضل والأصوب أن يتقاسمها كل من ينطق بهذه اللغة ،فالمدرسة في الأخير ما هي إلا يد ونحن بحاجة إلى أياد أخرى .

التهميشات :

- (1): شريط عبد الله ،محمد مبارك الميللي ،مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1985، ص 80-81.
- (2): بشير إبرير ،تعليمية النصوص (بين النظرية والتطبيق)، عالم الكتب الحديثة ،الأردن، 2007، ص7.
- (3): الرجوع السابق، ص15.
- (4): فاضل ناهي عبد العون ،طرائق تدريس اللغة العربية وأساليب تدريسها ،دار الصفاء للنشر والتوزيع ،عمان، ط2013، 1، ص27.
- (5): أحمد ناشف ،تعريب التعليم في الجزائر بين الطرح المعرفي والطرح الإيديولوجي، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، 2011، ص81.
- (6): جمال ميثال مصطفى القاسم، أساسيات صعوبات التعلم، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص95.
- (7): المرجع السابق، ص14.
- (8): المرجع نفسه ،ص20.
- (9): رشيد بناني ،من الديدكتيك إلى البيداغوجيا، الحوار الأكاديمي والجامعي،الدار البيضاء، ط1، 1991، ص 72 وما بعدها ،نقل عنه ، بشير إبرير ،تعليمية النصوص (بين النظرية والتطبيق)، مرجع سابق ص15.
- (10): وليد أحمد العناني، نهاد موسى وتعليم اللغة العربية (رؤى منهجية)، دار جرير للنشر والتوزيع ،ط1، 2010، ص45.
- (11): نقلا عن مداخلة قدمت في ندوة تربوية تكوينية لمعلمي التعليم الأساسي ،نقل عنه: بشير إبرير ،مرجع سابق ،ص7.
- (12): عبد الرحمان حاج صالح ،أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، عدد ،1974، ص44.

قائمة المصادر والمراجع :**أ-الكتب:**

1-أحمد ناشف

تعريب التعليم في الجزائر بين الطرح المعرفي والطلح الإيديولوجي، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، 2011.

2-بشير إبيرير

تعليمية النصوص (بين النظرية والتطبيق)، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2007.

3-جمال مثقال مصطفى القاسم

أساسيات صعوبات التعلم، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط.1

4-:شريط عبد الله

محمد مبارك الميللي مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

5-فاضل ناھي عبد العون

طرائق تدريس اللغة العربية وأساليب تدريسها، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط.2013

6-وليد أحمد العناني

نهاد موسى وتعليم اللغة العربية(رؤى منهجية)، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 2010.

ب-المجلات والدوريات:

-عبد الرحمان حاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، عدد، 1974.